



خطبة صلاة الجمعة 12 / 12 / 2025 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

## (بعد زوال الظلم العام متى يزول الظلم الخاص؟!)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونستترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيّدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبيّ اجتبا، وهدى رحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كلّه ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صلِّ على سيّدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ \* مُهْطِعِينَ مُقْنِعِينَ رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً﴾ [إبراهيم: 42-43].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: 54].

أخرج الإمام مسلم عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102]».

وأخرج الإمام الحاكم في المستدرک قال النبي ﷺ: «تُرْفَعُ لِلرَّجُلِ صَحِيفَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّىٰ يَرَىٰ أَنَّهُ نَاجٍ، فَمَا تَزَالُ مَطَايِمُ بَنِي آدَمَ تَتَّبَعُهُ حَتَّىٰ مَا تُبْقِي لَهُ حَسَنَةً، وَتُزَادُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ».

عنوان خطبة اليوم: بعد زوال الظلم العام متى يزول الظلم الخاص؟!!

أيها الإخوة:

بعد ما أكرمنا الله به من زوال الظلم العام، وبعد أن رأينا شيئاً من عاقبة الطغاة في الدنيا ذلاً وفهراً وخزياً، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: 16]، تُرى هل نزيل الظلم الخاص مما بيننا؟

هل يتوقف آخذ الرشوة عن أخذها أو أنه ينتظر عاقبة كعاقبة من سبقه؟

هل يرد الحق إلى أصحابه من اقترض أموال الناس وهو لا يريد أداؤها من قبل أن يتلفه الله؟  
هل يمتنع عن تهريب أدويةٍ مزورةٍ تنعدم فيها المادة الفعالة أو تقارب، من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله؟

هل تتوقف مئات الدعاوى الكيدية في المحاكم من قبل أن تنزل العقوبة بالمدعي الكاذب ومحاميه وشاهديه؟

هل ينتهي ذاك الزوج عن عضل زوجته ليذهب ببعض ما آتاها إن كان هو المرید لطلاقها، وهل تنتهي هي وأهلها عن الإضرار به وبولده إن كانت لا تريده، من قبل أن يجيق المكر السيء بأهله؟  
هل يُعَلِّمُ أستاذُ المدرسة أو الأستاذ الجامعي طلابه مما علمه الله أو أنه يكتُم العلم مستأثراً به لنفسه لكيلا يباريه أحد فيه، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: 99]؟

هل يتركُ الغش بائع يتلاعب بالميزان أو المواد أو المواصفات، من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا شراء، ولا درهم فيه ولا دينار؟

هل يعود إلى صلاته تارك الصلاة فينتهي عن ظلم نفسه ويتذكر أنه ينتظر يوم الأزرقة ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: 19]؟

هل ينتهي أب عن تفضيل الكبير من الأولاد على الباقيين في العطايا، وتنتهي أم عن تفضيل الذكور على الإناث من قبل يوم التلاق ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16]؟

هل يترك الخيانة مؤتمن، والكذب متحدث، والخلف واعد، والفجور مخاصم، واليمين الغموس شاهد، ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمًا لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ [الروم: 43]؟  
أيها الإخوة:

الظلمُ وضعُ الشيء في غير موضعه، أو هو مجاوزة الحق، أو هو الاعتداء على الآخرين بغير حق، أو هو إلحاق الضرر عمداً بالخلق.

في القرآن الكريم أكثر من مائتين وخمسين آية تتحدث عن الظلم، وفي كتب الحديث التسعة أكثر من سبعمائة حديث تتحدث عن الظلم، كل هذه الآيات والأحاديث تحدثت عن شر الظلم وشؤمه، وعن سوء عاقبة الظالمين وقرب انتقام الله تعالى منهم.

ولا يزال الظالم ممقوتاً في الشرائع السماوية وفي القوانين الأرضية، وقبحه معروف عقلاً وشرعاً؛ إذ ليس شيء أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الناس من الظلم.

والظلم منسوبة للتعم، مجلبة للتعم، وهو أداة العطب، وعلته خراب البلاد، وقد يبقى ملك مع الكفر، ولكنّه لا يبقى مع الظلم.

أمّا الظالم فإنه مهلك ثم هالك، وأقرب الأشياء صرعة الظلوم، وأنفذ السهام دعوة المظلوم، ومن كثرت ظلمته واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه، ومن طال تعديه كثرت أعياده، وبئس الزاد إلى المعاد العداوات على العباد.

أخرج الطبراني في الأوسط قال الله تعالى في الحديث القدسي: **«وَعَزَّيْ وَجَلَالِي، لَأَنْتَقِمَنَّ مِنَ الظَّالِمِ فِي عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ»**.

وأخرج الترمذي وابن ماجه قال الله تعالى عن دعوة المظلوم: **«وَعَزَّيْ، لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»**.

أيها الإخوة:

الظلم نوعان:

الأول: ظلم العبد نفسه، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾**

[لقمان:13]، ثم سائر المعاصي والدنوب، قال الله تعالى: **﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾**

[التحل:118].

الثاني: ظلم العبد غيره، وذلك بالاعتداء على نفسه أو ماله أو عرضه.

قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ**

**هَذَا فِي بَلَدِكُمْ»** [البخاري].

ويعظم الظلم إذا كان على يتيم، أو ضعيف، أو مريض، أو أجير، أو قريب، أو زوجة، أو مسكين لا

يجد ناصرًا إلا الله.

روي أن الخليفة المأمون كان يجلس للمظالم بنفسه، فقام ذات يوم من مجلسه فلقيته امرأة في ثياب رثة،

فقال:

وَيَا إِمَامًا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الْبَلَدُ

يَا حَيْرَ مُتَّصِفٍ يُهْدَى لَهُ الرُّشْدُ

عَدَا عَلَيْهَا فَلَا تَقْوَى لَهُ أَسَدُ

تَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدَ الْقَوْمِ أَرْمَلَةٌ

وَقَدْ تَفَرَّقَ عَنِّي الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ

فَابْتَزَّ مِنِّي ضِيَاعِي بَعْدَ مَنَعَتِهَا

فأطرق المأمون يسيراً ثم رفع رأسه، وقال:

وأقرح القلب هذا الحزن والكمد

من دون ما قلت عيل الصبر والجلد

وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد

هذا وأوان صلاة العصر فانصرفي

ننصفك منه وإلا المجلس الأحد

فالمجلس السبت إن يُقضى الجلوس لنا

فانصرفت وحضرت يوم الأحد أول الناس، فقال لها المأمون: من خصمك؟ قالت: القائم على رأسك،

العباس ابنك، يا أمير المؤمنين.

فقال المأمون لقاضيه يحيى بن أكثم: أجلسها معه وانظر بينهما، فأجلسها معه، ونظر بينهما بحضرة

المأمون، وجعل كلامها يعلو، فزجرها بعض حجابه، فقال له المأمون: دعها، فإن الحق أنطقها، والباطل

أخرسها. وأمر برد ضياعها عليها عندما تبين له ظلم ولده لها.

أيها الإخوة:

لئن أكرمنا الله برفع الظلم العام عنا فحري بنا أن نرفع الظلم الخاص فيما بيننا شكراً لله تعالى وأدباً

معه.

ورحم الله عبداً عدل فلم يظلم أو ظلم فتاب وأعاد لصاحب الحق حقه. أخرج البخاري في صحيحه

عن رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ

دِينَارًا وَلَا دَرْهَمًا، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ

صَاحِبِهِ فَحَمِلَ عَلَيْهِ»، وأخرج الإمام مسلم عن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا

من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتم

هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من

حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحه عليه ثم طرح في النار».

والحمد لله رب العالمين